الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ؛ سهيل ادريس ؛ بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

هيئة التحرير

(حسب الاحرف الهجائية)

احمد سليمان الأحمد	قدري حافظ طوقان
علي أدهم	عبد الله عبد الدائم
ذو النون ايوب	مارون عبود
خليل تقي الدين	ابراهيم العريض
جورج حنا	عبدالله العلايلي
شاكر خصباك	توفيق يوسف عواد
رئيف خوري	نبيه امين فارس
عبدالعزيز الدوري	شكري فيصل
قسطنطين زريق	نزار قباني
احمد زكي	صباح محي الدين
نقولا زيادة	انور المعداوي
وداد سكاكيني	نازك الملائكة
فؤاد الشايب	عبد الحميد يونس

ثمة مظهران اساسيان يدلان على حقيقة الشخصية البشرية : العلاقات الانسانية والاعمال الايجابية . الاولى تفصح عن موقف الانسان الخلقي، ومفهومه للفرد والمجتمع وعالم القيم الذي يستمد وحيه منه – أهي ثابتة خالدة ذات قيمة ذاتية ، ام انها وليدة الساعة والصدف نبدعها عندما تقتضي الحاجة ؛ والثانية – اي الاعمال – تعكس اتجاه الشخصية في الحياة وموقفها ، وجفافها او حيويتها ، وجمودها او انطلاقها ، وهو ما يبرر حكمنا على شخص من الاشخاص حين نقول مثلاً : هذا انسان منتج وذاك شخص عقيم .

ولكن لنخرج من هذا التجريد والتعميم ، ولندخل مجتمعنا العربي الناشيء ، لنستدل من خلال مظاهره المتعددة ومختلف اقسامه على حقيقة الشخصية العربية وميزاتها الاساسية . ولندخل كل خلية من خلايا هذا المجتمع : البيت والعائلة حيث تولد شخصية الفرد وتترعرع مكتسبة اتجاهها الاساسي في الحياة . المدرسة والجامعة حيث يفترض ان تتسع آفاق الحياة والفكر وتتفتح الشخصية في حرية مطلقة وفرح ومسؤولية.

مشكلة الشخصية العربية

بقلم الدكتور جورج طعمه

مركز العمل مهما كان نوعه حيث ينطلق الفرد الى العمل المنتج من خلال تعاون مفرح سعيد، او يقعد به اليأس والتشاؤم والضجر الخلقي لانعدام التعاون . الاندية ومراكز اللهو البريء على اختلاف انواعها حيث يصرف المرء ساعات فراغه ويستجم ويجدد نشاطه مما يقوي كفاحه في الحياة وايمانه بها ، تغذية صداقات بريئة مجردة تنشد الحق وتسعى اليه .

لو استعرضنا جميع هذه المراكز الحية ، التي يتألف منها ومن سواها المجتمع العربي حيث تنقضي معظم سني حياتنا ، لما امكننا ان نجد علاقات انسانية مفرحة تغذي حياة الفرد وتوحي له بالعمل المبدع الخلاق. فالشخصية العربية تثير جميع مشاكل المجتمع العربي وتعكس هذه المشاكل حتى ليصعب القول أيها السبب وأيها النتيجة .

نحن نعيش في مجتمع متحول غير مستقر ميزته الاساسية انه متجاذب بين اطراف متناقضة، لم يعرف بعد حداً وسطاً بينها. فهو مجتمع متأرجح بين القديم والجديد وبين الهرم والطفولة . مجتمع يخرج من نظام قديم عاش مئات السنين وهو آخذ بالانهيار، الى مجتمع جديد لم تتوفر فيه عناصر

التكامل والنضوج بعد . وهو مجتمع عرف عصوراً طويلة من الحكم والاستبداد — والطغيان الاجنبي الذي كاد يعفي على جوهر الامة ، ولكنه كمجتمع متحرر مستقل لم يتجاوز عمره السنين القليلة . وهو مجتمع تصفعك فيه هذه الاضداد والمتناقضات : من غنى مفرط ترتع فيه الاقلية الى فقر مدقع تتخبط فيه الاكثرية . ولكنه ايضاً مجتمع غني بالموارد الطبيعية يملكها ويستثمرها ويستفيد من خيراتها إما الاقلية التي اشرت اليها او الشركات الاجنبية المستثمرة . وهو مجتمع يسعى الى الوحدة على اساس القومية وتقعد به بل تشله النزعات والعصبيات المتعددة وفي طليعتها الطائفية والقبلية والاقطاعية والاقليمية . وهو مجتمع يسعى الى الاستقرار ولكنه لا يشعر بالطمأنينة بسبب الخطر الاستعماري السياسي الذي اصبحت إسرائيل رمزه القوي وسيفه المسلط .

ان مجتمعنا هذا شأنه ، ولا يمكن ان يكون بيئة صالحة تنمو فيها الشخصية نمواً صاعداً سليما . بل هو على العكس يثير مشاكل كثيرة معقدة في الشخصية العربية اكتفي بالاشارة الى اثنتين منها :

اولاً : المشكلة الاجتماعية ؛ وتتلخص في شعور الفرد العربي بانه لا ينتمي الى مجتمع سليم ، بل انه لا ينتمي الى مجتمع على الاطلاق . وهو شعور ممض عنيف يورث الشخصية نزعات مرضية وانحرافاً غريباً ، إذ ان حياة المرء الطبيعية ونمو الشخصية وتكاملها إنما يتمان بل يجب ان يتما داخل البيئة البشرية . ومن هنا كانت الفردية القوية التي ينتهي اليها العربي ويعيش ضمنها بمعزل عن الآخرين وكأنه سجينها . وهي تتضح في عدم الثقة بالآخرين وسوء الظن والحيطة ، والشك الدائم في ان الشخص الآخر ينوي شراً أو يرمي اليه ، أو انه بيّت امراً لا تعرف حقيقته ولكنه يظن بانه كذا وكذا . ومن هنا ايضاً النقد الهدام المستمر ، والشهوة القوية في ان نجر كل شيء الى الاسفل ونهوي به الى الحضيض ، والامتعاض من نجاح يدركه زميل أو صديق بفضل سعيه وجهده ، ويصل بنا ذلك احياناً الى درجة الحقد وكراهية أية مآثر إيجابية تتم على ايدي غيرنا في حين ان الشخصية القوية السليمة لا تخاف من اكتشاف القوة والغنى في الآخرين بل تنعم به . وينتهي ذلك كله الى عزلة روحية قوية يعيش فيها الفرد العربي ، وتمركز في حدود الذات الضيقة حتى ليظن انه مركز العالم : كل شيء ينتهي اليه وكل امر يصدر عنه أو له علاقة به . وليس هذا مجرد وهم بل انه حقيقة واقعة .

وربما كانت احدّ حالة مرضية تتميز بها الشخصية العربية وتخلق لها ازمة عنيفة اليوم هي عدم المقدرة على الصداقة . يقول دوستويفسكي على لسان احد ابطاله في روايته الخالدة «الاخوان كرامازوف» : « أتدري ما هو الجحيم ؟ انه عدم مقدرة المرء على ان يحب أو ان يجد اثراً للمحبة في الآخرين . »

اكثر الناس فينا بل كلنا نردد الشكوى تباعاً من ازمة الخلق العربي . وأعتقد انه لو رجع أي شخص منا الى ذكرياته البعيدة لوجد ان هذه الشكوى رافقت نشأته . وهذه الشكوى لما تنقطع بعد . لاننا ما زلنا نعاني الكثير من آثارنا هذه الازمة المستفحلة وندفع لها ثمناً باهظاً في حياتنا العامة . وهي بين الطبقات المثقفة أو التي تدعي الثقافة أو بين ابناء الجيل العربي الجديد لا تقل حدة عنها في أية طبقة اجتماعية اخرى إن لم تكن في تزايد مستمر . وفي ابناء هذا الجيل صراع بين العقل والغرائز الاول يحاول ان يوجد نظاماً وانسجاماً بين الفرد والمجتمع . حين تقضي الغرائز على ذلك الانسجام بما تثيره من انانية مرضية ورغبة في الشهرة والسيطرة والنفع المادي على انقاض الآخرين دون ان نعرف حداً لأهوائنا واطماعنا . ولا يمكن ان تتركز الشخصية إلا بعد ان يحل هذا النزاع الكياني العميق على اساس من النقد الجريء لا يعرف مواربة أو خوفاً . يقول الزعيم المغربي علال الفاسي في كتابه « النقد الذاتي » ما يلي :

« ان الاجيال المظلمة التي مرت علينا نزعت منا كل الحقوق التي خولنا الله اياها وحرمتنا من نعمة الفكر التي هي اساس الحياة السعيدة ، وهكذا فقدنا حاسة النقد والانكار وأصبحنا نستصعب وجودها عند البعض منا . ان التقزز الذي نحس به عندما يوجه الينا احد نقداً ما ، أو الامتعاض الذي نشعر به عندما نقرأ افكاراً مباينة لأفكارنا — ان ذلك كله دليل على الاضطهاد العظيم الذي وجدته الحرية في بلادنا سواء من ذوي الأمر المنتسبين للدين أو من ذوي الثروة والجاه ، لأن الذين يألفون رؤية المناظر البشعة يعتادونها فلا تنكرها ابصارهم بل ربما طلبوها عند فقدها . فيجب ان نتحرر إذن من آثار الاضطهاد السابق في نفوسنا ، ومن آثار النفاق التي تسيطر علينا ، ونسمح لغيرنا بابداء آرائهم حرة طليقة ، حتى ولو كانت ضدنا » .

أما المشكلة الثانية فهي مشكلة الفراغ الفكري والعقائدي

اطوار الزجل اللبناني

بقلم مارون عبود

ما اكثر الشعر في هذا الجيل الشاعر. كانت اساطيره، والأساطير مراعي الشعراء، خميرة الحضارة الاولى فطلع عجينها وأمسى خبزاً حياً على موائد الآلهة. ثم استحال في دنيا الأحلام عشاء سرياً تلذذت الانسانية الاولى بطعامه المقدس.

احلام رافهة تراءت للبناني الأول فعبرهـا بصور شتى: صناعات ونقوش وحروف، دمى وأرجوان وزجاج. أوضح فكرته تارة بالنقش، وطوراً بالغناء، وأحياناً بالفتوحات الفنية فكان خياله العجيب منبع اساطيره الغريبة. ومشى لبنان والزمان في منعرجات التطور فاستعرب وراح يتذوق آداب لغته الجديدة مذ دارت الضاد على لسانه، وأبى عليه طموحه ان يقعد حسيراً فضرب فيها بسهم وطفق يقول الشعر فلم تنقد له اللغة فكان الزجل.

ليس «الزجل» الذي نعجب به ونعتز لسماعه ابن امس، فهو غير صغير السن ولا حديث الميلاد؛ كما قال الجاحظ حين أرّخ الشعر العربي. فالزجل اللبناني عريق، دوّنه تاريخنا منذ خمسماية سنة. فهلهله وامرؤ قيسه اسقف استعرب وتمغرب. نظم زجله أو شعره على عروض خاص استمد توقيعه من لغته الأولى «السريانية» وخلف للاجيال هذا الوزن تراثاً أو اساساً لشعرنا العامي الذي ارتقى الى ذروة الفن الأدبي.

المطران جبرايل ابن القلاعي اللفحدي هو القوال الأول. عاش في القرن الخامس عشر، وقال أزجاله في مواضيع اكثرها دينية طائفية.

قال عنه الدويهي في تاريخه الشهير: ولد جبرائيل بن بطرس اللحفدي في قرية تدعى لحفد من اعمال جبيل، وهي قرية قديمة طيبة الهواء كثيرة الديورة والكنائس ظهر منها كثير من الرجال الفضلاء. وأما جبرائيل فيكنى بابن القلاعي وابن غورية لأنه كان لوالديه بيت مبني بين القلاع، في مزرعة تدعى غورية من أرض لحفد، ومنذ صباه سلمه والداه إلى الخوري ابراهيم بن دريع، وهو رجل فاضل، ليدرس عليه اصول اللغة السريانية والعربية، فأخذ جبرائيل يجتهد ويجد، وكان رزين العقل مشغوفاً بالقول فنظم الزجليات. ثم خطب له والداه ابنة حسنة من ذوات قرباه فاعتراه استرخاء في عينيه فكرهته الخطيبة ولأجل ذلك زهد في العالم وهاجر إلى القدس الشريف وهناك انخرط في سلك رهبان القدس، وسافر معهم إلى رومية في سنة ١٤٧٠ ثم عاد منها إلى بيت المقدس سنة ١٤٩٣ بعد ما تخرج فيها واقتبس العلم، وبعد جهاد ثلث قرن سيّم مطرانا سنة ١٥٠٧ [١].

فهذا الشاعر العامي قضى حياته في الغرب بعدما فجع بحبه الأول، وكان من هذا شعر كثير وتصانيف شتى، يقول الدبس في ملحق تاريخ سوريا: ونظم قصائد كثيرة وان

(١) تاريخ الدويهي ص ٤١٢

فالشخصية لا يمكن ان تتجه ايجابياً وان تنتج وتبدع إلا بوحي ايمان شامل عميق. وقد يكون هذا الايمان دينياً او عقلياً أو علمياً أو قومياً. ومهما كانت طبيعته فلا بد من وجوده لتسيير الشخصية واعطائها مبدأ الحركة الدافع. اما جذور هذه المشكلة فهي فكرية فلسفية وتعود في الحياة العربية الى قصة الصراع بين العقل والدين، تلك المشكلة التي يجابهها المجتمع العربي منذ مئات السنين وما زال بعيداً عن حلها. وإذا تمّ أي حل جزئي فقد قام على انقاض العقل، والحط من شأنه، وإضعاف سلطة الفكر وحقه في البحث الحر والاستقصاء الصريح. اننا لم ندرك بعد ان العقل والدين لا يمكن ان ينفي الواحد الآخر. اما التأرجح بين الاثنين عل اساس الغموض والاذعاء وتمويه الحقائق فقد يؤدي بالنتيجة الى فقدان الاثنين معاً وبالتالي الى احاء الايمان. وهو الامر الذي يهدد الشخصية العربية ويعطيها الميوعة التي تتميز بها وعدم التحديد الواضح لمعالمها وبالتالي نقصان اليقين والحرارة للبناء.

قد تبدو هذه المشاكل على ظاهرها بسيطة ولكن نتائجها أبعد مما نتصور بكثير. ومن الصعب ان نتبين خطرها اذا لم نتألم كفاية من واقعنا العربي ونرجع اليها مسؤولية الفواجع التي ارهقته. انها لا تقرر مركز الفرد العربي في مجتمعه فحسب بل وفي المجتمع الدولي وتعطيه صورة معينة اقرب الى الفقر ومركزاً ضئيلاً. ومعالم هذه الصورة ان الفرد العربي مضطرب مقلقل غير منتج، وانه بحاجة الى تغيير يمتد الى الجذور والاعماق ويخرجه من عالم العبودية المظلم الى عالم الانطلاق الفسيح.

ان مشكلة المجتمع العربي هي مشكلة الشخصية العربية والفرد العربي.

جورج طعمه